المقدمة

نستغفره ونستعين به الملک القدّوس والحمدلله الذي دلّ على وجوده بجوده والصلاة والسلام على سيدنا النبيّ الأمين ، أحمد المختار ، أشرف خلق الله أجمعين وعلى آله القائمين بالحق من بعده!

طلع في العصر الحديث عبقريان لاأبالغ إذا قلت أنهما أعظم عباقرة نشأآ في هذا العصر وإذا كان المجال لايتسع للكلام على هذين العبقريين، من مجامع نواحيهما فإني أرجو أن يتسع للكلام على ناحية واحدة منهما انفردا بها وهي السخرية.

إنّ السخرية قصة مترامية الأطراف، ربّما جاءت صدىً لما حُفّت به حياة الإنسان من آلام ومحن ومصائب وليس من شكٍ في أنّ النفس المعذّبة كثيراً ما تلتمس في السخرية والفكاهة ترويحاً وتنفيساً عن نفسها، فلا تكون السخرية بالنسبة إليها سوى منفذ للتنفيس من آلامها ومحنها، والسخرية عند أحمد مطر ومحمد الماغوط هي أداة لتغيير وتطور واصلاح الواقع الذي ينوء بحمل الإنسان المعاصر ويثقل كاهله.

فإنّهما قد أخذا سلاح السخرية لقهر الواقع المرير، فأخذا يصوران هذا الواقع، وينقدانه من خلال ضحكة مغموسة بألم المعاناة، حاولا من خلالها أن يصلحا ويغيرا واقع أمتهما، فتغلغلا في تركيبة النفس البشرية، لينتزعا منها الضحكة بدل الدمعة.

امّا رسالتي هذه لقد حاولت فيها أن أقف على جانب مهم من جوانب الدراسة الأدبية، والمتمثل في جانب السخرية، وكيف يستطيع الأديب أن يتخذ السخرية أسلوبا، يستطيع من خلاله أن يعبّر عن معاناته، ومعاناة أمته. فكان البحث في ثلاثة فصول.

فجاء الفصل الأول على مبحثين:المبحث الأول يكشف الغطاء عن أهمية الجانب الساخر في الدراسات الأدبية، وتعريف السخرية وأهدافها وأساليبها وتطورها في الأدب العربي. والمبحث الثاني يعالج سيرة الشاعرين الشخصية والأدبية.

و الفصل الثاني كذالک كان على مبحثين:

الأول يحاول البحث فيه تحليل ودراسة مضامين سخرية الشاعر أحمد مطر. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وامّا المبحث الثاني يدرس الشكل وعناصره في سخرية مطر الشعرية، كما وقد أتيت بأساليب السخرية وبواعثها وأهدافها لدى الشاعر في ضمن هذا المبحث لاشتراك الكثير من الصور البلاغية وأساليب السخرية لدى الشاعر أولاً، وإيجاد نوع من التوازن بين الفصول والمباحث ثانياً.

ونحوت نفس المنهج في الفصل الثالث الذي عالجت فيه دراسة مضمون السخرية وشكلها لدى الشاعر محمد الماغوط.

امّا بالنسبة لسوابق البحث قد كان هناک بعض الدراسات الجادّة فيما يتعلّق بموضوع السخرية، وهي:

-السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري للدكتور نعمان طه

-السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين للدكتور سعيد أحمد غراب

-السخرية وتجلّياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة (رسالة الماجستير) لسامية مشتوب في جامعة مولود معمري تيزي وزو بالجمهورية الجزائرية

وكان هناک بعض الدراسات التي تناولت السخرية في شخصية بعض الأعلام الساخرين، وهي:

-السخرية في الأدب العربي الحديث (عبدالعزيز البشري نموذجاً) للدكتور سها عبدالستار السطوحي

-السخرية في أدب المازني للدكتور حامد الهوال

وإلخ...

وفيما يتعلق بالشاعر أحمد مطر فهناک بحوث كثيرة منها كتابان؛ الأول: «شعرية السرد في شعر أحمد مطر» للدكتور عبدالكريم السعيدي، والثاني: «عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر» للدكتور كمال أحمد غنيم. وأيضاً هناک رسالات ومقالات في الجامعات الإيرانية منها رسالتان في قسم اللغة العربية بجامعة العلّامة الطباطبايي ورسالتان في جامعة بوعلي سينا بهمدان؛ (گفتمان طنز در شعر أحمد مطر- ومظاهر تناص ديني در شعر أحمد مطر) أشرف عليهما الدكتور فرامرز ميرزائي.

وكذلک عن محمد الماغوط كتابان؛ «محمد الماغوط، وطن في وطن» للؤي آدم و«محمدالماغوط وصوبيا الحزب القومي» لجان داية، وكذلک هناک رسالات في جامعة العلّامة الطباطبائي وجامعة الفردوسي بمشهد وباقي الجامعات الإيرانية وغير الإيرانية.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بفائق الشكر والتقدير إلى الأستاذ العالم الفاضل الدكتور گنجيان الذي تقبل الإشراف على رسالتي ولما بذله من جهدٍ لي وما قدمه من ملاحظات علمية دقيقة لإخراج هذه الرسالة، وأعرب عن وافر شكري للأستاذ العالم الجليل الدكتور صالح بک الذي كان المشرف المساعد على رسالتي ولم يأل جهداً في توجيهي وإرشادي كما أشكرالأساتذة الأفاضل في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي.

أخيراً ...

أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في عرض بحثي وطرحه على النحو المطلوب، فإن كنت قد وُفقت فمن الله – تعالى –الفضل والمنَّة، وإن كنت قد قصَرت فمن نفسي، وحسبي أني سعيت واجتهدت و بذلت قصارى جهدي في إثراء هذه الرسالة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيد حسين حسينى

تاريخ: ١٣٩٢

الفصل الأول

القضايا العامة

المبحث الأول

السخرية؛ تعريفها، أساليبها، أهدافها وتطورها في الأدب العربي عبر العصور

السخرية في اللغة

عرف ابن المنظور هذه الكلمة قائلاً: سَخِرَ منه وبه سَخراً، وسَخَراً، وسُخراً، وسِخرياً، وسُخرياً وسُخريةً، أي: هَزِئَ به. يقال: سخرت منه، ولايقال: سخرت به. قال تعالى: لايسخر قوم من قوم. وفي الحديث: أتسخر منّي؛ أي أتستهزئ بي.

والسخرة الضحكة. ورجل سُخَرَةٌ: يسخر من الناس. ورجل سُخرةٌ: يسخر منه الناس[1].

أطلقت السخرية – باعتبار وضعها اللغوي – على عدة معان ، وهي:

الاستهزاء، القهر، التذليل، الضحك[2]

السخرية في الاصطلاح

حين نتحدّث عن مفهوم السخرية الأدبية، يتراءى لنا أنّ النقاد والباحثين لم يتكلّموا عنها بصورة مستقلّة تماماً، وإنّما تكلّموا عنها باعتبارها جزءاً من ظاهرة عامّة في الطبيعة البشرية .

يقول أحد الباحثين: «الابتسام والضحك والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملحة والنادرة والكوميديا إن هي إلّا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها إنّما تصدرعن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة، والتي سرعان ما تملّ حياة الجدّ والصرامة والعبوس، فتلتمس في اللهو ترويحاً عن نفسها، وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها، وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرّب من الواقع الّذي كثيراً ما يثقل كاهلها»[3]

وقد نظر النقاد إلى هذه الأنواع المجتمعة، ورأوا أنها تمثل ظاهرة واحدة وهي "الضحك"، معلّلين ذلك بأنّ الضحك هو النتيجة المباشرة لكلّ هذه الأنواع، كما أنّه جزء أساسي من هدفها جميعاً.

وقد أعطى الفلاسفة وعلماء النفس اهتماماً كبيراً لدراسة ظاهرة الضحك وتحليلها، وربطها بالنواحي النفسية للإنسان، وقد ظهر من خلال ذلك أنّها ظاهرة معقّدة جدّاً، ف«هناك أكثر من مائة نظرية حول الضحك، وكلها نظريات متداخلة يعتمد بعضها على بعضها الآخر بدرجةٍ واضحةٍ»[4].

ونظراً لكثرة النظريات والتداخل فيما بينها، يقول بعض الباحثين:

---

[1] لسان العرب، مادة (سخر).

[2] سامية، مشتوب، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص١.

[3] زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٨.

[4] عبدالحميد، شاكر، الفكاهة والضحك، ص٢٢.

«لو أنّنا حاولنا أن نفهم الضحک باعتباره ظاهرة نفسية ذات دلالة إنسانية لتبيّن لنا أنّ هناک من أفانين الضحک بقدر ما هنالک من مواقف بشرية».[1]

فالمواقف الإنسانية المضحكة كثيرة لا تحيط بها النظريات، ولا يقننها قانون. ومع هذا، فقد لحظ بعض النقاد والباحثين أنّ الضحک ناشئٌ في الأصل عن الشعور بالإنتصار في معركة جسمية بدائية، وحاولوا تقسيم الضحک إلى نوعين: ضحک إيجابي، وهو الضحک الذّي ينبعث عن غير غرضٍ أو هدف الإضحاک، وهو ما يطلق عليه الفكاهة.

وضحک سلبي: وهو الضحک المتولّد من الشعور بنقص الآخر، أو ضعفه بمعنى أنّ له هدفاً وغرضاً معيناً، وهو الاحتقار والإزدراء والسخرية.

وكذلک يفعل الباحثون الذين يقسمون هذه الظاهرة باعتبار مصدرها الانفعالي فيرون أنّ نوع الفكاهة يخضع لنوع الانفعال الّذي أثارها.

ومن ذلک أنّ انفعال الغضب يولد الفكاهات العدوانية والسخرية.

فالسخرية إذن نابعة من انفعال عدواني بين خصمين، ولكن الخصم الأقوى والأقدر منهما هو الذي يستطيع أن يسخر من الآخر، وهذا أيضاً تأييد لأنّ الضحک – عنوان السخرية – مظهر من مظاهر الانتصار والتفوّق.[2]

ولهذا كثرت اجتهادات النقاد والباحثين حول تحديد مفهوم السخرية، ورغم كثرة هذه الأقوال والاجتهادات فإنّ المحصلة النهائية لكل قول كانت مقاربة لغيره من الأقوال مهما كان اختلاف الأسلوب.

يقول المازني محاولاً تعريف السخرية أوالأدب الساخر: «ما هو السخر، إذا ذهبنا نعتبره من فنون الأدب؟ إنّ هذه الوجهة هي – بالبداهة – كل ما يعنينا، وهو بهذا الاعتبار، العبارة – بما يناسب ذلک من الكلام– عما يثيره المضحک أو غير اللائق، من الشعور بالتسلّي أو التقزز، على أن تكون الفكاهة عنصراً بارزاً والكلام مفرغاً في قالب أدبي»[3].

إنّ هذا التعريف يحدد عناصر السخرية الأدبية في أمور ثلاثة، وهي:

الأول: اشتمالها على الفكاهة والإستهزاء

الثاني: أنّها تصاغ في عبارات أدبية مؤثّرة.

---

[1] زكريا، ابراهيم، ،سيكولوجية الفكاهة والضحک، ص٨٩.

[2] أحمد غراب، سعيد، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، ص٢٢.

[3] المازني،عبدالقادر، حصادالهشيم، ص٢٥٧.

الثالث: أنّ الغرض منها: التسلية، أو الانتقام في صورة الاستهزاء.

ونحن نلحظ ما في هذا التعريف من غموض، فهل السخر فن من فنون الأدب؟ حسب الاصطلاح المحدد لفنون الأدب لفنون من شعر ونثر وخلافه، ألايثير السخر سوى التسلّي أو التقزز، كما يشير إلى ذلك المازني[1].

وإذا كان السخر أو السخرية سمة أسلوبية يتميز بها بعض الأدباء فإنّ أساليبها وأدواتها لابدّ وأن تختلف من أديب إلى آخر يقول المازني: «نحن متفقان – فيما أظنّ – على أنّ السخر على العموم مبعثه مقابلة الواقع باعتبار مافيه من النقص، بصورة الكمال باعتبارها أسمى الحالات متى ينبغي أن يكون عليها الواقع وكثيراً ما تكون صورة هذا الكمال غامضة ملتاثة، بل لعلها لاتعدو هذا الغموض أبداً ولا تخلص من ظلامه قطّ إلى نورالوضوح والبيان، وعلى أنّه يكفي الإحساس العام بها، ولما كان المرئ قلّما يتهيأ له – أو لا يتهيأ له قط – أن يتمثل صورة الكمال واضحة مشرقة، فأكثر ما يسعه هو أن يلفتنا إليها ويوقظ في نفوسنا مثل إحساسه العام بها.وهذا هو ما ينبغي أن يجعله هكذا: أي أن ينبه فينا هذا الإحساس الّذي لايستطيع أن يصوره لنا على وجه الدقة »[2].

ويتفق كثير من الباحثين مع المازني في أنّ الأديب لا يمكنه أن يتمثل صورة الكمال على وجه الدقة، لذلك فهو يكتفي بأن يقابل بين هذه الصورة والواقع وما فيه من نقص واعوجاج، فهو يظلّ دائماً يكافح ويجاهد من أجل محو أو تقليل هذا الاعوجاج والخلل، مستخدماً ما لديه من أسلحة الموهبة والقدرة على النقد والمعارضة، فكل ما يتنافى مع الواقع المثالي ويكون ضده يجعله الساخر هدفاً لنقده ومعارضته، وما أكثر ما نجده في الحياة من أشياء تخالف الواقع المثالي وتتناقض معه[3].

والسُّخر كما يرى بعض الباحثين[4] يقع عموماً على نقطة ما بين ملكتين، تقتربان منه احياناً وتبتعدان احياناً أخرى؛ الفكاهة من ناحية والهجاء من ناحية أخرى.

تشغل ملكة السخر موقعاً متوسطاً بين هذين الأمرين – مع زيادة هنا أو نقص هناك – فهي أشد ضراوة من الفكاهة الأنيسة، وهي أقل مباشرة من الهجاء الصريح.

---

[1] أحمد غراب، سعيد، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، ص٢٣.

[2] المازني،عبدالقادر، حصادالهشيم، ص٢٥٨.

[3] أحمد غراب، سعيد، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، ص٢٣.

[4] الهويدي، علي، عدد خاص عن السخرية والضحك، ، مجلة الهلال، عدد١٤، ص٢٨.

وإذا تحدثنا عن السخرية باعتبارها فكاهة وجدنا أنّ السخرية لا تعني الفكاهة، إذ قُصد بالفكاهة مجرد العبث والتسلية، ولكنها ترقى بالفكاهة إذا تلبست بها؛ لأنها تعطيها معنى وقدرة خاصة تجعلها ذات هدفٍ.[1]

فالسخرية ترتقي بالفكاهة إلى المستوى الأكثر ذكاءً، وتجعل لها معنى وتعطيها القدرة على أن يكون لها هدف، وأن تخدم هذا الهدف.

والفكاهة الساخرة تتجه غالباً نحو العموم، فنجدها تهتم بنقد مثالب المجتمع أو أشياء مرذولة في المجتمع تشيع بصورة كبيرة، بخلاف الروايات الجادّة الحزينة (المأساة) فمن شأنها أن تهتم بالنواحي الفردية؛ حيث تعالج اموراً خاصة، أما الروايات الساخرة، فحتى إن تمثلت في فرد أو بدا ظاهرياً أنّها تعالج أمراً شخصياً، فالهدف الحقيقي من وراء ذلك معالجة ظاهرة عامّة أو نواح شائعة في المجتمع كما يقرر برجسون ذلك.[2]

عرف بعض الباحثين السخرية بأنها: «فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صورة تغري بمقاومتها، والردّ عليها، وإيقاف مفعولها، من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام».[3]

بالنظر إلى هذا التعريف، نجد أنّه يكشف عن الدور المهم الذي تقوم به السخرية في تعرية المتناقضات والسلبيات الموجودة في المجتمع، بهدف العمل على مقاومتها وايقاف انتشارها، كما أنه يشير إلى أنّها اسلوب غير مباشر في النقد.

وعرفها البعض الآخر بأنها: «العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء والتلميح، واللماحيّة، والتهكم، والدعابة، وذلك بهدف التعريض بشخصٍ ما، أو مبدأ ما، أو فكرة أو أي شيءٍ، وتعتريه بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه»[4].

إنّ هذا التعريف، قد ركز على ذكر بعض وسائل السخرية، كما أنّه أشار إلى أنّ السخرية منها مايتوجه إلى نقد الأشخاص، ومنها ما يتوجه إلى نقد الأفكار السلبية، سواء منها ما كان في الجانب السياسي أو الإجتماعي، وهذه هي أهم اتجاهاتها الموضوعية.

عرفها الدكتور نعمان طه بأنها: «النقد المضحک أوالتجريح الهازئ».[1]

---

[1] المعاملي ، شوقي، الإتجاه الساخر في أدب الشدياق، ص١٠.

[2] عبدالستار السطوحي، سها، السخرية في الأدب العربي الحديث، ص٥٥ نقلاً عن برجسون ، هنري، الضحک، ص١٧.

[3] الهوال ، حامد، السخرية في أدب المازني، ص٣٥.

[4] راغب، نبيل،الأدب الساخر، ص١٣.

وهذا يعني أن السخرية مهما كانت مضحكة، إلّا أنها تخفي وراءها هدفاً جاداً وغاية إصلاحية نبيلة.

ويعرفها الآخرون بأنّها: «شكل من أكثر أشكال الفكاهة أهمية، وهدفها عموماً مهاجمة الوضع الراهن في الأخلاق والسياسة والسلوك والتفكير».[٢]

ويعرفها الدكتور شوقي ضيف بقوله: «السخرية أرقى انواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء وخفاءٍ ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم، وهي حينئذٍ تكون لذعاً خالصاً، وقد تستخدم في رقّة، وحينئذٍ تكون تهكماً».[٣]

وإذا كان الدكتور ضيف يشير في كلامه السابق إلى أنّ استخدام الرفق في السخرية يجعلها من باب التهكم، فإنّ كثيراً من النقاد والباحثين لايتفقون معه على هذا الزعم؛ لأنّ المعروف أنّ التهكم إنّما يصدر عن النفوس العنيفة الّتي لا ترحم حمق الغيرأو جهله فتتهكم به.[٤]

السخرية في رأي بعض الكتاب والنقاد الأروبيين

يقول احدهم في تعريفها: «إنها طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيه الشخص ألفاظاً تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقةً، وهي صورة من صورالفكاهة تعرض السلوك المعوجّ أو الأخطاء الّتي إن فطن إليها وعرفها فنان موهوب تمام المعرفة، وأحسن عرضها، تكون حينئذٍ في يده سلاحاً مميتاً».[٥]

ويعرفها أرثربرجر بأنّها «أحد أشكال المقاومة، أو قوّة خاصة للمقاومة».[٦]

وعرفها بعضهم بأنها «طريقة في التهكم المرير، والتندّر أو الهجاء الّذي يظهر فيه المعنى بعكس مايظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفاً وإخافة وفتكاً».[٧]

لايمكننا من خلال هذه المحاولات أن نصل إلى تعريف جامع مانع لفن السخرية؛ ذلك لأنّ السخرية عمل إنساني محض ولا يستطيعها الّا الإنسان، والإنسان متغير، والألفاظ جامدة والجامد لايضبط المتغير.

---

[١] طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص١٤.

[٢] عبدالحميد، شاكر، الفكاهة والضحک، ص٥٢.

[٣] ضيف، شوقي، الفكاهة في مصر، ص١٣.

[٤] أحمد غراب، سعيد، السخرية في الشعر المصرى في القرن العشرين، ص٢٤.

[٥] طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي، ص١٣.

[٦] عبدالحميد، شاكر، الفكاهة والضحک، ص٥٢.

[٧] طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي، ص١٤.

لذا فقد «أصاب علم المنطق الحديث والباحثون فيه بقولهم: لا يمكن تعريف شيءٍ من الأشياء على وجه الأرض تعريفاً جامعاً مانعاً؛ لأن الشيء الحي لايمكن الإحاطة به وتصويره ببعض ألفاظ قاصرة، إذ هو حي متحرك، والألفاظ مهما تكن جامدة ساكنة».[1]

ولو أنّنا بالفعل وضعنا الشيء الحي في قالب جامد ساكن، فإنّه إمّا أن يموت ويفني، وإمّا أن يحطّم هذا القالب الجامد ويخرج منه مرتمياً في أحضان الحياة، ليبقى هو كذلك حيّاً وخالداً.[2]

والواقع أنّ السخرية تعد أرقى أنواع الفكاهة، إذ أنّها تتطلب درجة عالية من المعرفة بثقافة المجتمع، وأحواله، وطريقة التفكير السائدة[3] وتحتاج إلى خفاء ودهاءٍ ومكر، وهي السلاح الذي يستخدمه الساسة للتّندّر بخصومهم وكيدهم، كما أنّها الأداة الّتي يستخدمها الكتاب والفلاسفة لبيان رأيهم في الخرافات السائدة والمعتقدات الخاطئة الّتي يختلفون معها.[4]

أنواع السخرية

إن للسخرية ألوان نفسية لا عداد لها، وإن لكل منها مصدره النفسي، ولكل منها دوره في حياتنا، وإن السخر ليتنوع حتى لا يتفق في الباعث الذي يوحيه ولا في العبارة التي تحمله[5]، لكن يبقى هناك قسمان رئيسيان يندرج تحتهما أنواع تختلف باختلاف الهدف أو الغاية، وهما:

أولاً: السخرية الإيجابية: وهي تتعامل مع المسخور منه بكثير من الاتزان.

ثانياً: السخرية السلبية: وتستخدم المبالغة إلى حدّ التطرف والنهش والتعريض. وهذا النوع من السخرية نجده عند الضحية التي تصبح في يوم ما جلاداً[6]. أما القاسم المشترك بين أنواع السخرية، فهو التناقض بين مضمون الظاهرة أو ماهيتها، وبين شكلها الممارس في الحياة الواقعية[7].

---

[1] م. ن، ص١٤-١٥.

[2] أحمد غراب، سعيد ، السخرية في الشعر المصرى، ص٢٥.

[3] http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

[4] سها، عبدالستار السطوحي ، السخرية في الأدب العربي الحديث، ص٤٨.

[5] مندور، محمد، في الميزان الجديد، ص١١٤.

[6] سيمون بطيش: الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود، ص١٨.

[7] أحمد غراب، سعيد ، السخرية في الشعر المصرى، ص٢٦.

وتعتمد السخرية أثناء التعبير على عنصر المفاجأة، وعدم التوقع والخيال، وكذلك الغرابة التي تعني انعدام التوافق ما بين الواقع، وبين ما يطمح إليه الفنان الساخر[1]، لأنها قائمة على فكرة المقابلة بين نقيضين.

ألفاظ السخرية

تختلط ألفاظ السخرية بعضها ببعض، فالسخرية لها الكثير من الألفاظ في العربية، ومن هذه الألفاظ الإستخفاف والتعريض والهزء والتندر والسخرية والتهكم، و... وإذا عدنا إلى أهم معاني الألفاظ السابقة وجدنا ما يلي:

كل ما يضحك، فهو هزل، ولكنه ينقسم قسمين: أحدهما ليس له غرض أو هدف إلا الإضحاك فحسب وهو ما يطلق عليه الفكاهة، والآخر له غرض هادف واضح – سواء أكان معينا أو غير معين حين إلقاء النكتة – وهو السخرية. النكات التي يمكن أن تكون لمجرد الإضحاك فحسب حينئذ هي الفكاهة، وقد تكون بقصد اللذع والإيلام فهي السخرية، وقد تجمع بين الغرضين.[2] عندما ندقق النظر في الألفاظ أو المترادفات العربية التى تدل على السخرية أو التهوين من شأن الآخر،أو الحط من قدره، سوف نجد مجموعة من الألفاظ تمثل هذا المقام، علماً بأن المعاجم العربية لا تكاد تفرق بين مدلولات بعض هذه الكلمات تفريقاً قاطعاً بينما أشارت – فى القليل النادر – إلى ما قد يوجد بين بعضها من تشابه أو اتفاق فى المعنى .

وهذه الألفاظ هي: السخرية، والتهكم، والهزء، والتندر والاستخفاف والمداعبة والتعريض، والضحك وإلخ.

الفكاهة

يخلط الكثيرون بين الفكاهة والسخرية لما بينهما من معاني مشتركة وخاصة في أوقات اللهو والمرح وسويعات السمر والترويح عن النفس.إذ تحملان معا جينات واحدة ويجري دم الفكاهة في عروق السخرية ودم السخرية في شرايين الفكاهة. وتثيران معاً في نفس المتلقي الكثير من المشاعر والانفعالات التي قد تكون واحدة في أكثر الأحيان وقد تتخذان أيضا أسلوباً واحداً في التعبير عن الهدف الذي قد يكون

[1] الحاج محمد، فراس، السخرية في الأدب الفلسطيني المقاوم ، ص١٨.

[2] http://ar.wikipedia.org/wiki/

للإضحاك فحسب أو للنقد والتقويم والإصلاح والتطوير ولكن بطريقة ملتوية وغيرمباشرة. وهذا ما يفرق بينهما وبين الهجاء الذي يتخذ دائما الأسلوب المباشر للهدف أو النيل من الخصم صراحة. والفكاهة والسخرية تنبعان من منبع واحد هو : الإضحاك وتمتزجان معاً كامتزاج رحيقي فاكهتين مختلفتين في إناء واحد يصعب علينا – بدون مختبر دقيق– أن نحدد موضع كلتيهما في الإناء.[١] وقد تكون الفكاهة سخرية مُرةً وموغلةً في الألم عندما تتناول الجانب المتجهم في المجتمع ولكنها تثير الضحك أو الابتسام على أقل تقدير وإن كان ضحكا وابتساما مملوءاً بالمرارة والأسى من الأوضاع المقلوبة[٢].

ويرى الدكتور شوقي ضيف « أن السخرية هي أرقي أنواع الفكاهة لما تحتاجه من ذكاء وخفاء ومكر»[٣].

ولكن هناك فرق بين الفكاهة والسخرية، فالسخرية في الأدب هو فن ينم عن ألم دفين ويشف عن كرب خفي ، يريد من يلجأ إليه أن يداوي ألمه بالضد ويشفي كربه بالنقيض . ومن هنا كان الألم الذي يشعر به الأديب أو الشاعر ، وعدم قدرته على إلغاء أسباب هذا الألم هو الدافع وراء هذه السخرية التي يصطنعها . أما الفكاهة نلمح فيها طيب النفس والسرور الذي يكون عليه المفاكِه والمفاكَه ، حتى ليس لهما من همٍّ سوى هذه الفكاهة ، فلا شاغل من همّ يقضيان فيه أيامهما، ومن هنا كانت الفكاهة في الأدب العربي عامة، والشعر خاصة فن يقصد به «الاستمتاع واللهو البريء » و «الاستجمام والارتياح ولو للحظة » وهكذا نرى أن هناك فرقاً واضحاً بين السخرية والفكاهة ، فعلتهما متضادتان، وإن كان المظهر في النتيجة واحدة ، فعلة الأولى خارجية اجتماعية ، وعلة الثانية داخلية ذاتية [٤].

التهكم

والتهكم، فقد جاءفى لسان العرب :هو السيل الذى لايطاق، والتهكم : تهور البئر، وتهكمتُ البئر: تهدمت، وهكّمت غيرى تهكيماً غنيته، وذلك إذا انبريت تغني له بصوت (على السبيل التهكم والسخرية).

والتهكم: الاستهزاء، وفي حديث أسامة: فخرجت في أثر رجل منهم جعل يتهكم بي، أي: يستهزئ ويستخف .

---

[١] عبدالستار السطوحي، سها، السخرية في الأدب العربي الحديث، ص٤٨.

[٢] http://www.alamuae.com/vb/t267479.html

[٣] Amly & Rajol ، سلسلة المقالات الساخرة، ص٢.

[٤] http://www.alamuae.com/vb/t267479.html

والهَكِمُ : المتقهم على ما لايعنيه الذي يتعرض للناس بشره، وقد تهكم على الأمر وتهكم بنا : زَرَى علينا و عبث بنا ، والتهكم : التكبر والمتهكم : المتكبر .

إذن فالتهكم : استهزاء في قوة، و في تقهم، وعدم خفاء.[1]

وهنا يظهر لنا الفرق بين السخرية والتهكم، فالسخرية: نقد هادئ خفي أشبه ما يكون بالمخدر، والتهكم: هجوم في قوة وعنف بغير ما رحمة ولا شفقة.[2]

الهجاء

إنّ الهجاء هو فنّ الشتم والسباب أو كما قال قدامة بن جعفر إنّه ضدّ المديح وهذا يعني الانتقاص والذم لذلك وقيل إنه أدب غنائي يصوّر عاطفة الغضب أو الاحتقار، والإستهزاء وقيل إنّه تعداد للمعايب، وكشف لبشاعة الرذائل والنقائض في الفرد والمجتمع، والهجاء غرض من أغراض الشعر وهو قسيم المديح.[3]

ومن معانيه في الأدب الفارسي والعربي، هي: تعداد المعايب، والتوبيخ، والفحش، والعبث، والذم.[4]

إذن «الهجاء غرض من أغراض الشعر الغنائي يقوم على نقد لاذع يبلغ حدّ الشتائم أحياناً، أو على هزءٍ شديد الإيلام.»[5]

تمتزج السخرية بالهجاء من ناحية الوظيفة وكلاهما يفترقان من ناحية المادة أو الطبيعة التي يشتمل عليها كل منهما. فالهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو، ولكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم[6]. والفرق بين الهجاء والتهكم هو أن الهجاء صادر عن نفس واجدة غاضبة حاقدة بينما التهكم صادر عن نفس ساخرة ناقدة، مبرأة من الحقد و الموجدة[7].

---

[1] عبدالستار السطوحي، سها، السخرية في الأدب العربي الحديث ، ص٤٩ .

[2] أحمد غراب، سعيد، السخرية في الشعر المصرى، ص٤٤ .

[3] الذبياني، مساعدبن سعد، السخرية في شعر عبدالله البردوني،ص٣٥ .

[4] حلبي،علي اصغر، مقدمة على السخرية والدعابة في إيران، ص ٣٥-٣٦.

[5] جبران محمود، الرائد، بيروت، ١٩٦٧. نقلاً عن مقدمة على السخرية والدعابة في إيران، علي اصغرحلبي، ص٣٥.

[6] http://ar.wikipedia.org/wiki/ ٦

[7] محمدالحوفي، أحمد، الفكاهة في الأدب، ص٧٢.

الإستهزاء

والهزء: السخرية، وهزأ الشيء يهزؤه هزءا: كسره وهزأ الرجل: مات، وهزأ الرجل أبله هزءا: قتلها بالبرد، وهزأت الراحلة : حركتها.

والأفصح في الفعل هنا أن يتعدى بالباء، فيقال: هزئت به، ولا يقال: هزئت منه[1] ففي المادة – كما نلحظ – تحريك، وقتل بارد ليّن من غير عنف أو صوت أو تكسير[2].

الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أنّ الانسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزأ به من أجله، والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل على صحة ما قلناه، وذلك أنك تقول: استهزأتُ به فتعدّى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق، كأنك ألصقت به استهزاءً من غير أن يدلّ على شيءٍ وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت منه؛ فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبتُ منه فيدلّ ذلك على فعل وقع التعجب من أجله، ويجوز أن يقال:

أصل سَخِرتُ منه التسخير، وهو تذليل الشيء، وجعلك أياه منقاداً، فكأنك أذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك، ودخلت مِن للتبعيض، لأنّك لم تسخّره كما تُسَخِّر الدابة وغيرها، وإنما خدعته عن بعض عقله، وبني الفعل منه على فَعِلت لأنّه بمعنى عنيتُ، وهو أيضاً كالمطاوعة، والمصدر السُّخرية كأنّها منسوبة إلى السُّخرة مثل العبودية، واللّصوصية، وأمّا قوله تعالى [لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعضاً سُخريّاً] فإنّما هو بعث الشيء المسخر ولو وضع موضع المصدر جاز، والهزءُ يجري مجرى العبث ولهذا جاز هزأتُ مثل عَبَثتُ فلا يقتضي معنى التسخير فالفرق بينهما بيّن[3].

وعليه، فلابدّ أن تدل نغمة الصوت في الاستهزاء على أن شخصاً معيناً يهاجم شخصاً آخر، أو ينتقده، أو يوجه إليه تعليقاً ساخراً[4] .

---

[1] لسان العرب، مادة (هزء).

[2] طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي، ص١١.

[3] عسكري، ابوهلال، الفروق اللغوية، ص٢٥٤-٢٥٥.

[4] أحمد غراب، سعيد، ص٤٤ .

وبذلک يظهر أن الهزء لفظ من ألفاظ السخرية، وهو يمتاز باللين والرخاوة حيث يتسلل في لباقة وسهولة حتى يصيب الشخص المقصود في مقتل[1].

التندّر

وأما مادة " تندُّر" فهي من الفعل" ندر"، تقول ندر الشيء يندُرُ نُدوراً: سقط وقيل: سقط وشدّ وقيل: سقط من جوف شيء أو من أشياء فظهر.

وتنادر على فلان: سخر منه.

«والظاهر أن الكلمة أخذت من أصل المادة "ندر"، وفيها محاولة الإسقاط أو إظهار العيوب بطريقة ملتوية، فيها تباله و تجاهل و إظهار نوادر الشخص الذي يتندر منه وشذوذه»[2].

فالتندر إذن هو نوع من الهجاء الّذي لايصدر فيه الشاعر غالباً عن حقد أو سخط وإنما يعمد فيه إلى العبث بأحد الأشخاص وإظهار في صورة هزلية على سبيل التندر والدعابة والظرف.

وقد يكون تندر الشخص من نفسه أبعث على الإضحاک من تندر غيره به لأنه صار مبعثاً مضاعفاً للضحک، حتى لكأنه الضحک نفسه.

وبديهى أن الشخص الذي يتندر بنفسه، شخص فكه لبق خفيف الروح سريع الخاطر، وهو إلى ذلک بعيد النظر، يتفكه بنفسه قبل أن يتفكه الناس به[3].

الإستخفاف

ومن ألفاظ السخرية: "الإستخفاف " وهو مأخوذ من الفعل خفّ، الخفة ضد الثقل والرجوح، ويكون فى الجسم والعقل والعمل، واستخفّ فلاناً: رآه خفيفا واستخف فلانا: أهانه، واستخف به: استهان به

---

[1] عبدالستار السطوحي، سها، ص٤٩-٥٠ وكذلک راجع سعيد أحمد غراب، ص٤٤ .

[2] طه، نعمان، السخرية في الأدب العربي، ص ١١ .

[3] أحمد غراب، سعيد، ص٤٥ .

وأخفّني الشيء: إذا أغضبك حتى حملك على الطيش، واستخفه فلان: إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه[1]، ومنه قوله – تعالى–:

﴿ فاستخفّ قومَه فأطاعُوهُ ﴾[2].

أي: حملهم على الخفة والجهل فمادة الإستخفاف تدور حول الخفة والإستهانة بعقل الشخص المتهكم به أو المسخور منه.

ويلاحظ أن "الإستخفاف " فيه استجهال وإنكار لعقل المتهكّم منه[3].

التعريض

ومن ألفاظ السخرية " التعريض"؛ وهو: خلاف التصريح، جاء في لسان العرب: عرض علي بالشيء: لم يبيّنه وتعرّض: تعوّج، يقال: تعرض الجمل في الجبل، أي أخذ منه في عروض فاحتاج أن يأخذ يميناً و شمالاً لصعوبة الطريق، وعرّض لفلان وبه: إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه، والمعاريض من الكلام: التورية عن الشيء بالشيء أوماعرّض به ولم يصرّح، والتعريض في خِطبة المرأة: أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولايصرّح به[4].

فالمادة – كما نرى – توحي بالسخرية أو التهكم من الغير بطريق خفي مبهم لا يفهم من معنى الكلام القريب وإنما يلمح من معناه البعيد.

يقول الدكتور أحمد الحوفي: «نريد بالتعريض أن ينطق المتكلم بكلام لا يريد به معناه في ذاته، وإنما يشير به إلى معنى بعيد يفهمه السامع، وليس بين المعنيين تلازم كما في الكناية، أو دليل على المعنى القريب يخدع عن المعنى البعيد كما في التورية»[5].

والتعريض على ذلك لون من الكلام يسلك المتكلم فيه مسلك التلويح بما يريد مع امتزاج ذلك بالظرف، وخفة الروح، والحيلة المضحكة .

---

[1] م.ن.

[2] سورة الزخرف، آية ٥٤.

[3] أحمد غراب، سعيد، ص٤٥

[4] لسان العرب،مادة (عرض).

[5] أحمد غراب، سعيد، ص٤٦ نقلاً عن محمد الحوفي، أحمد، الفكاهة في الأدب، ج٢،ص٥١.

الضحك

ومن ألفاظ السخرية – كذلك – الضحك.

ويذكر بعض النقاد أنّ الذي يستدعي الضحك منا: هو أن الحياة ملأى بالمشقات والمتاعب والآلام، والضحك هو المتنفس الذي يخفف ضغطها وينسي همومها ويلقي بعض أثقالها، ويحرّر من قيودها الثقال زمناً يطول أو يقصر.

ومن هنا كان الضحك نزعة إنسانية غريزية لها قيمة عظيمة في حفظ حياة الفرد وحياة المجموع .

وقد تطورت هذه النزعة من ضحك تثيره أمور عارضة إلى ضحك تثيره أمور مقصودة معّدة.

ويبدو أن صورالضحك ومنابعه كثيرة ومتعددة، فالضحك داخل فى كل صورة من الصور السابقة، لأن الناس يضحكون ضحك سخرية، ويضحكون ضحك تهكم، أو ضحك هزل، أو ضحك ازدراء، أو ضحك تعريض، أو ضحك دعابة.

وأياً ما كان الأمر، فالناس يضحكون لأن الضحك «يريح أعصابهم، ويشرح صدورهم ويقوّم أخلاقهم، ويشعرهم بشيء من الصلة فيما بينهم، ويجعلهم يحافظون على تقاليدهم وأوضاع مجتمعهم، و يربى فيهم ملكة النقد، ويوقظ فيهم التنبّه إلى أخطائهم وأغلاطهم»[1].

الدعابة

والدعابة هي المزاح، وهي اسم من الفعل: داعبه مداعبة، والمداعبة: الممازحة وفي الحديث أنه عليه الصلاة و السلام كان فيه دعابة، حكاه ابن الأثير في النهاية والدعابة: اللعب، والدعابة: نملة سوداء، و تدعّبتُ عليه: تدلّلت عليه[2].

فأصل المادة يوحي بالخفة والبساطة وعدم التعقيد.

ولذا عرفها بعض النقاد بأنها نوع من التهكم الخفيف غيرالمؤذي.

---

[1] أحمد غراب، سعيد، ص٤٧ نقلاً عن ضيف، شوقي، الفكاهة في مصر، ص١٦-١٧.

[2] لسان العرب، مادة (دعب).

وعرفها آخر بأنها: القدرة الخاصة على استثارة الضحک أو الابتسام لدى الآخرين من خلال بعض الملاحظات أو التعليقات التى تكشف رشاقة في التعبير، وبراعة وسرعة في الإدراک للمتناقضات، والجمع بينها في تعبيرات الابتسام والضحک ويقول عنها الدكتور شوقي ضيف: «الدعابة أخفّ ألوان الفكاهة وهي فكاهة الأشخاص الوقورين، إذ يقولون ما يدعو إلى الابتسام الخفيف، لا إلى الضحک العالي»[1].

والأصدقاء حين يتداعبون ويتضاحكون فإنهم يتخيرون بعض جوانب الضعف في أصدقائهم، فيتندرون بها، أو يتخذون خصلة أشتهر بها الصديق ملائمة للدعابة فيسخرون بها تضخيماً أو قلباً أو عكساً، أو يعمدون إلى شيء يعتز الصديق بامتلاكه، وليس في نظرهم جديراً بهذه العزازة، فيجعلون مادة لتندرهم، ويبالغون في إعزاز الصديق لما يمتلک .

و إذا كان الغرض هو الدعابة، فإنها تحتاج إلى مهارة فى التعبير والتصوير بحيث لاتؤذي الصديق، ولا تغضّ من قدره .

و قد يبدو في بعضها ما يشبه الإيلام، ولكنه عند النظرة الفاحصة، يظهر أنه من مزاحات الأصدقاء الذين لا كلفة بينهم[2].

المزاح

«يأتي المزاح بعد الدعابة، وهو الدعابة – كما جاء في لسان العرب –، وهو نقيض الجدّ ونقل شارح القاموس أن المزاح: المباسطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية[3].لذا عرفه الدكتور شوقي ضيف بقوله: المزاح خطوة بعد الدعابة نحو الضحک أو نحوالإبتسامة العريضة، وهو لايحمل خبثاً ولا سماً، وإنما يحمل المرح والشعور بالابتهاج. وعليه، فالدعابة ابتسام في وقار وتحفظ، بينما المزاح ابتسام في تجرؤ وإصرار»[4].

---

[1] أحمد غراب، سعيد، ص٤٨ نقلاً عن ضيف، شوقي، الفكاهة في مصر، ص١٤.

[2] الهوال، حامد، السخرية في أدب المازني، ص٢٢.

[3] لسان العرب، مادة (مزح).

[4] أحمد غراب، سعيد، ص٤٨.

«والفرق بين المزاح والاستهزاء أنّ المزاح لا يقتضي تحقير من يمازحه ولااعتقاد ذلک، ألا ترى أنّ التابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوک، ولا يقتضي ذلک تحقيرهم ولا اعتقاد تحقيرهم، ولكن يقتضي الاستئناس بهم والاستهزاء يقتضي تحقير المستهزأ به واعتقاد تحقيره»[1].

الهزل

من ألفاظ السخرية الهزل، وهو نقيض الجدّ، من الفعل: هزل يهزل هزلاً وهزل الرجل فى الأمر: لم يجدّ فيه، وفي التنزيل: "وما هو بالهزل "[2] قال ثعلب :أي، ليس بهَزَيَان، وفي التهذيب: أي، ما هو باللعب وقال ابن الأعرابي: الهزل: استرخاء الكلام وتفنينه[3].

وقد عرفه بعض النقاد بأنه: مبالغة الشخص في مغالطاته دون أن يعتمد على شخص آخر يُجرى عليه هذه المغالطات، واستغراقه في ذلک حتى يخرج إلى حيث لا منطقية خالصَة. فالإنسان الهازل يتكلم بصورة من أُلغِي عقله ومنطقيته، وسار يتخبط يمينا وشمالا، فتراه يسوق بدهيات في صورة معلومات خطيرة، أو يخط في كلامه، وكأنه غافل أو نائم. وقد دافع البعض عن الهزل، زاعمين أن من لم يعرف الهزل لم يعرف الجدّ وأن النفس إن لم تذق فرح الهزل أصابها غمّ الجدّ وكربه، فللهزل أثره الإيجابي في صحة النفس، وجودة العقل، وصفاء الذهن، وغزارة الفكر، فالهزل غذاءٌ ودواء[4].

«والفرق بين المزاح والهزل: أنّ الهزل يقتضي تواضع الهازل لمن يهزل بين يديه، والمزاح لايقتضي ذلک، ألا ترى أنّ الملک يمازح خدمه وإن لم يتواضع لهم تواضع الهازل لمن يهزل بين يديه، والنبي (ص) يمازح ولا يجوز أن يقال: يهزل، ويقال: لمن يسخر : يهزل، ولا يقال: يمزح»[5].

التصوير الكاريكاتوري

وهناك ضرب من الفكاهة لا يعتمد على الكلمات ولا على حروف، وإنما يعتمد على الألوان والخطوط والظلال والأضواء.. وكان للأدب العربي منه حظ في العصور القديمة، ونقصد التصوير الساخر

---

[1] عسكري، ابوالهلال، الفروق اللغوية، ص٢٥٤.

[2] سورة الطارق، آية١٤.

[3] أحمد غراب، سعيد، ص٤٨نقلاً عن لسان العرب، مادة (هزل).

[4] عبدالحميد، شاكر، الفكاهة والضحک، ص٢٧٩-٢٨٠.

[5] العسكري، ابوالهلال، الفروق اللغوية، ص٢٥٥.